ولا يغتر المجادلون بتضييق الرزق والجاه على المؤمنين وتوسيعهما عليهم فما أوتيتم من شيء من مال وجاه
فمتاع الحيوة الدنيا وقد سلبتم متاع الحيوة الابدية عند الله وما عند الله خير في نفسه و أتم وجه
خيرية انه أبقى وانما يحصل لاعدائكم اي للذين آمنوا لم يشب ايمانهم بشرك اذ على ربهم يتوكلون و
لاضعف لانهم الذين يجتنبون كبائر الاثم المضعفة للايمان بالذات والفواحش اي الصغائر التي تفحش
بروية بها صغائر ولا يزالون يتقوون حتى انهم اذا ما غضبوا هم يغفرون و قد قووا ايمانهم بالتكاليف
الزعية لانهم الذين استجابوا لربهم اوامره ونواهيه فلا يفقدهم حيث امرهم ولا يجدهم حيث نهاهم و
تمت لهم تلك الاستجابة اذ أقاموا الصلوة سيما بالجماعة الموجبة اجتماع قلوبهم و قد راعوه خارج
الصلوة ايضا اذ أمرهم شورى بينهم فلا يعملون برأي حتى يجتمعوا عليه هذا في الاعمال البدنية واما المالية
فيراعون جميع حقوق المال اذ مما رزقناهم ينفقون في جميع سبيل الخيرات و اما الاخلاق فهم الذين اذا
أصابهم البغي وراودوا العفو عنهم تضعيفا للاسلام هم ينتصرون لاعلاء كلمة الله لا لانفسهم والانتصار
لنفسه وان كان جايزا لانه جزاء سيئة وجزاء سيئة سيئة لانه مثلها لا في الصورة وحدها بل في
المعنى ايضا من حيث النسبة الى النفس على انه ادنى من العفو فمن عفى و لم يقتصر عليه بل زاد خيرا اذ
أصلح ما بينه وبين اخيه من نفره الحقد والغل فأجره على الله الذي راعى جنابه بعفوه واصلاحه و
قد تخلق باخلاقه لكنه لا يعفو عن الظالم ولا يصلحه لانه نزع محبته له انه لا يحب الظالمين و المنتصر لنفسه
وان فعل سيئة فليس بظالم لا يحبه الله بل لمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلمه صاحبه فاولئك ما عليهم
من سبيل لبغض الله وغضبه حتى يرتفع محبته الاصلية عنهم انما السبيل المذكور في الظالمين انما هو
على الذين يظلمون الناس الذين هم بنيان الله ويتعدون حدوده اذ يبغون بغيا على عباد الله
مع كونهم في الارض لا باذن الله بل بغير الحق فعليهم سبيل الغضب الالهي وبغضه وما يترتب عليه
اولئك لهم عذاب اليم من حمل معاصي المظلومين عليهم ونقل اعمالهم الصالحة اليهم و المظلومون
وان حصل لهم ذلك لو تركوا الصبر والعفو فلا يبلغون مبلغ الصابرين العافين اذ لمن صبر وغفر قارب
رتبة اولي العزم من الرسل ان ذلك لمن عزم الامور و كيف لا يكون لله سبيل على الظالمين وقد
ضلوا بروية هم ان في الظلم لهم غلبة ومعاشا والمعصي عنه وان كان واضحا لهم يهتدوا اليه لان
من يضلل الله فما له من ولي يهديه من بعده اي بعد ثباته على اضلاله و ذلك المعصي ان العظم والمعاشي
انما يفيد بهما اذا لم يعقبهما مذلة ولا شدة وههنا تحصل الشدة بحيث ترى الظالمين لما رأوا
العذاب يقولون هل الى مرد الى الدنيا بعد لقاء الله والرجوع اليه من سبيل و المذلة بحيث تريهم
يعرضون عليها اي على النار خاشعين اي متذللين مما يلحقهم من الذل ينظرون الى النار يبتدي
نظرهم من طرف خفي اي من تحريك لاجفانهم ضعيف على ان المعاشي انما يعتد به لو لم يقابله خسر و

قد

قد قال اعداؤهم الذين آمنوا شماتة بهم ان الخاسرين هم الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
ولا ينقطع بانقطاعه بعد طوله الا ان الظالمين في عذاب مقيم ابد الابدين كيف وما كان لهم من
اولياء في القيمة ولا بعدها ينصرونهم بالتخليص من دون الله من الزبانية فضلا عن الله و لا
يكون لهم مخلص بتدبير انفسهم لان من يضلل الله فما له من سبيل يسلكه للتخلص عنه وليس ذلك
لعدم السبيل اصلا فقد وجد لاجل الاستجابة قبل الموت استجيبوا لربكم ليريكم هداية سبيله
لا باضطرار بل من قبل ان يأتي يوم يضطرون فيه للاستجابة لا مرد له من الله لتردوا الى عالم الحجاب
الذي تعودون فيه الى اختياركم ولا يندفع اضطراركم بملجأ اذ ما لكم من ملجأ تفرون اليه يومئذ
لان كل ملجأ فيه راجع الى الله وما لكم من نكير ينكر على الله من مواخذتكم فان اعرضوا عن دعوتك
الى استجابة الله لتسلك بهم سبيل الهداية المتيسرة لهم كانها تحت قبضهم فما ارسلناك عليهم
حفيظا تحفظ ما في قبضهم من سبيل الهداية لو قصدوها فلا تلجئهم الى قصدها ان عليك الا البلاغ و
اي تبليغ ما في قصدها من الفوايد وما في الاعراض من الآفات و انما اعرضوا عن استجابتنا لانهم
لا يدرون منا النعم ويرون منا كل مصيبة انا اذا اذقنا الانسان منا لا باستحقاقه رحمة فرح بها
كانها مقتضى ذاته وان تصبهم سيئة لم يكن بمقدار ما يقابل بما قدمت ايديهم كفر بنسبة الظلم الينا
فان الانسان كفور بنسبة الظلم وسلب نسبة النعمة الينا وكيف يتصور نسبة الظلم الينا انما نتصرف الى الله
في ملكه اذ لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء بمقتضى مالكيته ولو تعين عليه شيء لم يكن على
مقتضى مطلق المالكية على ان حاصل المصيبة غالبا منع فضل النعمة فكما لا يسمى عند منعه
الفضل ظالما لا ينبغي ان يسمى في افاضة المصيبة ظالما فيما يقسم من الاولاد وان كان بعضهم ناقص
و ذلك لانه لا يسمى ظالما صح
الحظ جدا فانه يهب لمن يشاء اناثا وهو انقص حظا من يعطي الذكور جدا وتنكيرهن اشارة
الى ان من حقهن التنكر ويهب لمن يشاء الذكور وهو وان كان اكمل من الاولى ناقص بالنسبة
الى ما بعده فكما لا ظلم ههنا فكذا فيما قبله وعرفهم اشارة الى ان من حقهم التعرف بالاتصاف
بالكمالات ثم قال او وللاشارة بانه كالمقابل للمشية اذ لا ترجيح فيه لاحد الجانبين على الآخر يزوجهم
اي يجمع الموهوبين ذكرانا واناثا قدم الذكور ههنا لانه لم يظهر ههنا اثر المشية الموجبة تقديم
الاناث اذ لا كراهة فيه لكونه غاية الكمال ونكر الذكور رعاية للمناسبة ولم يعكس بتعريفهما
اشعارا بوجوب القرار عليهن من التعرف ثم قال ويجعل من يشاء عقيما لكونه اثر محض المشية
اذ لا دخل فيه للهبة اصلا ومع هذا لا يعد ظلما فكيف ما تقدم وليس هذا على سبيل التحكم بل بتبعية
العلم مع القدرة على خلافه انه عليم قدير و بقدرته رفع بعض البشر الى المكالمة مع الله ومع
ذلك راعى مقتضى علمه ببشريته وبالهبة نفسه لذلك ما كان لبشر بقي لروحه تعلق ببدنه ان يكلمه الله و

حده

Copyright © King Saud University